وقد وقفت بوسط الدار تبكي ... على دار غدت بالبين قفرا
رأت ان الاعارب في خمود ... يسومهمو المدى خسفاً وقسرا
ولم يبق الزمان لها نصوحا ... تشد به لردع الضيم ازرا
فاسبلت القوائب ثم صاحت ... انا الحسناء ابكي اليوم صخرا
لاهلي كان صدر الحكم لكن ... ذوو الاعجاز حازوا منه صدرا
فيا زمن العداة والمعالي ... عليك نحية الاعراب تترى

عبد الرحمن البناء

نبوة اديب

Grosse erreur d'un biographe

السيد علي خان ابن السيد احمد نظام الدين المدني الشيرازي المتوفى في سنة ١١٢٠ اديب بكل ما يريده متقدمو اهل الادب من الكلمة ، وتواليفه تشهد له بذلك ومنها انوار الربيع ، والسلافة ، وشرح الصمدية ، وجميعها مطبوع . وطراز اللغة ، والدرجات الرفيعة ، في طبقات الشيعة ؛ وسلوة الغريب في رحلته الى الهند وهذه الثلاثة مخطوطة . وكانت له خزانة كتب نفيسة تعرف بعض آثارها الى اليوم وربما كان « عالم كتب » ايام كانت الكتب نادرة لوجود لا تعرف الا مخطوطة فكان درسها ومقابلتها ومعرفة « انسابها » وموضوعاتها وما كتب في شانها وعلق عليها فناً ذا شان انفرد فريق من العلماء واطلقوا عليه « علم الكتب » كما انه يعنيه اليوم فرع من « علم الآثار » وقد وقع خطاء للناس في شؤون الكتب وخاصة في نسبها لان المؤلفين من الطبقات الاولى قلما سموا انفسهم في تآليفهم فيكون الحكم القاطع في ردها الى اصلها منوطاً بالحذاق من اهل هذا الشان وقد عثرت على خطا عجيب للسيد علي خان صاحب السلافة المتقدم احببت ان آتي عليه تذكيراً لنا بعزة هذا العلم وان لم اكن من اهله .

واضح ان السلافة كتاب قصره مؤلفه على ادباء القرن الحادي عشر وممن اثبت ترجمته فيها من ادباء هذا القرن « السيد حسين بن كمال الدين الانزا الحلي » وقال عنه في الوجه ٥٤٦ ما نصه :

« هو في الادب عمدة ربابه ، ومنار لاحبه ، ولجة عبابه ، وقفت على رسالة في

البديع سماها « درر الكلام » وبواقيت النظام » واثبت فيها من نثره في باب الملاءمة قوله في من الف الرسالة باسمه، مكي الحرم، برمكي الكرم ، هاشمي الفصاحة، حاتمي السماحة ، يوسفي الخلق ، محمدي الخلق ، خلد الله ملكه ، واجرى في بحار الاقتدار فلكه اه .

فههنا خطآن خطير لم اهتد الى سببه تماماً وهو ان هذا الكتاب الذي ذكره في البديع ونسبه لابن الابزر واورد نبذة من انشائه فيه ليس له ولا هو مؤلفه وانما صاحبه متقدم من ادباء القرن السابع فاين هو من القرن الحادي عشر ؟ اما الحجة التي ندعم بها ادعاءنا وهو اشتباه صاحب السلافة في نسبة هذا الكتاب الى غير مؤلفه فهي تتوقف على ان يكون الكتاب الذي نفى هو بعينه ما عناه السيد علي خان لانه يجوز ان يطلق اسم واحد على مسميات متعددة وهذا كثير في اسماء الكتب والاعلام الشخصية وغيرها غير ان صاحب السلافة نفسه كفانا هذا الامر فانه اورد من الكتاب نبذة في باب الملاءمة نموذجاً من نثر المؤلف الذي زعمه، وهذه الجملة بنصها وفصها مثبتة في باب الملاءمة من نسخة الكتاب التي عثرنا عليها اذاً فالكتاب المعني واحد لا اثنان.

اذا ثبت ذلك فليعلم ان زمن وضع هذا الكتاب اقدم مما ظن صاحب السلافة بكثير واذا فرضنا ان ابن الابزر من معاصريه كما هو الواقع فيكون كتابه هذا قد الف له قبل ولادته بثلاثة قرون ونصف قرن [سنة ٦٨٤] وتكون نسختنا المخطوطة منه سنة ٩٥٩ خطت قبل ان يولد مؤلفها بنحو قرن ايضاً . ولا ادري كيف اختلط الامر على السيد علي خان وهو من مشاهير المؤلفين في الادب القديم وخاصة في البديع موضوع هذا الكتاب وكذلك لا يعلم تحقيقاً من الذي دلس الكتاب الذي يلزمنا تعريفه والكلام عليه .

الدرر مختصر في البديع ذو ٨٤ قاعدة متوسطة منه نسخة عندنا مخطوط خطاً مقبولا جاء في آخرها ما نصه :

« انتهى مسطور النسخة المباركة على يد الفقير الى الله اكبرهم جرما ، واصغرهم جرما ، السيد ناصر بن سيد علي بن ناصر الحلاوي عفى عنهما وذلك يوم الاحد ٣ ربيع الاول موافق ٢٧ شباط الرومي تقريباً (كذا) من شهور سنة تسع وخمسين وتسعمائة هجرية في بلد الحلة السيفية حماها الله من كل بلية من ارض الكوفة بابل »

وعلى هذه النسخة تعاليق كثيرة مخطوطة خط الاصل ، جلها استدراك

ومؤاخذة ويظهر ان مناقبها عالي المحل. في نقد الشعر، قوى البضاعة في البديع، وهو متأخر عن المؤلف ولم نقف على اسمه ولكن يلوح لنا انه دمشقي الموطن اما المؤلف فهو من المائة السابعة ممن سمع الشيخين العالمين السكاكي صاحب مفتاح العلوم المتوفى سنة ٦٠٦ والمطرزي صاحب شرح المقامات المتوفى سنة ٦١٠ وهو فارسي الاصل عربي الطبع اما انه فارسي فلكثرة ايراده الشواهد من الفارسية ولانتباه بعض انواع البديع التي لم يعرفها العرب ولم يصطلح عليها الادباء الفرس على انه قد اتخذ لها اسماء عربية مثل « الترجيع والمردف » وغيرهما وبانه فارسي المحتد صرح صاحب التعليق واما انه عربي الطبع فلسلامة انشائه ومتانة بنائه ولم تحقق اسمه ايضاً الا انه قد جاء في ختام النسخة التي نقلت عنها نسختنا ما هذا حرفه :

« واتفق الفراغ من نسخه بعون الله تع يوم السبت تاسع عشرين جمادى الاخر سنة اربع وثمانين وستمائة كتبه العبد الفقير راجي رحمة ربه وغفرانه علي بن المهدي الرماني البغدادي واعتذر بهذه القطعة من فقه الهدية .

عند سليمان على قدره هدية النملة مقبوله
لا تحقر الملوك عن نملة عبدك فارحمه يا مولاه »

فما يخامرني الريب في ان يكون هذا مؤلف الكتاب لامرين: ١ً بعد ما بين عصره وعصر السكاكي والمطرزي وهما استاذا المؤلف اللذان شافهاه : ٢ً انه لو كان هو لصرح بذلك وقال « كتبه مؤلفه » وعلى كل حال فان صاحب الكتاب خدم بتأليفه خزانة « السلطان الملك الناصر داود بن عيسى » وكثيرا ما يورد شواهده مما جاء في مدح الملوك والامراء تملقاً ومكابرة وربما تمهما بشاهد من صناعته يمتدح به هذا الملك كما فعل في باب السلامة فانه تلك ابياته المنثورة التي اوردها صاحب السلافة في ترجمة [ابن الابزر] بزعم انها مثل من كلامه ولقد ذكر المؤلف انه قد دون في هذا الفن مجلدات الا ان كتابه تميز منها باربع مناقب: ١ً ضبط ما بددوه ٢ً حذف ما رددوه ٣ً تفصيل ما اجملوه ٤ً الحاق كثير من المحاسن قد اهملوه ثم اتى فيه على ١٨٠ نوعا من انواع البديع والبيان ١٦٠ منها تعد في محسنات الكلام و٢٠ نوعا من مساوئه وعيوبه اخرها عيوب القافية والسلام

النجف

محمد رضا الشبيبي